١٥- المفاجأة

مازالت مدام "ماري" في إيطاليا تعيش على ذكرى حبها لـ "غريب" ولولا الوفاء بعهدها معه بقطع العلاقة ما انقطعت عنه، بأن تراسله أو تذهب إليه لتزوره بمصر، كان قلبها يخفق بحبه، وتتوق لرؤياه بأية وسيلة، وبعد أن تركها وسافر إلى "هولندا" بقيت تعيش على ذكرى الأيام الجميلية التي قضتها معه، ولكنها بعد السفر بأسبوعين اكتشف أن "غريب" ترك بأحشائها أمانة، شعرت بفرحة غامرة عندما علمت أن هذه الأمانة هي جنين يتحرك بداخلها، في البداية أصابها الذهول، فقد أخبرها الأطباء سابقًا أنها لن تنجب، واليوم أصبحت حاملاً، وظلت تتساءل ماذا حدث؟ حتى فسر لها المختصون ذلك لاحقًا بأن الحمل في حالتها كان نادرًا، ولا تتجاوز نسبته الواحد في الألف، ولذا لم يشأ الأطباء تركها معلقة بين احتمالات ضئيلة، حتى لا تعيش في الوهم، ولذا فضلوا غلق هذا الباب أمامها.

وبعد أن تيقنت من صحة الخبر، وسلامة الجنين، عاشت في سعادة بالغة، تشكر الأيام التي وضعت في طريقها هذا الشاب المصري الرقيق، ليهبها الأمل المفقود، فرحت لأن رغبتها في الأمومة سوف تتحقق عما قريب، وخاصة بعد أن عرفت من خلال جهاز "السونار" أن الجنين ذكر، وسوف يكون أخًا للصغيرة "هند"، فكرت في الذهاب إلى "غريب" في "هولندا" لتخبره، بيد أنها تراجعت حتى لا تغضبه، فربما يحزن، لأن ذلك سوف يؤثر على حبه المقدس، سيجرح حبيبته "رجاء"إذا علمت، وربما يعيش مقهورًا بالذنب إذا أخفي الأمر في صدره، ولذا فضلت إخفاء هذا السر عنه حتى لا تربكه.

أخذت تفكر في اسم للمولود القادم، على أن يكون اسمًا ذا طبيعة مصرية، وعربية، وغربية، وإنسانية، فأحصت معظم الأسماء القديمة والجديدة، وبعد طول تفكير اهتدت إلى تسمية المولود بـ "إبراهيم" كاسم يتفق حوله اليهود، والمسيحيون، والمسلمون، وكأنها أرادت بهذا الاسم أن تنشر ثقافة التعايش بسلام بين الجميع، وبعد الولادة حاول أهلها كتابة الطفل في الأوراق الرسمية باسم جده لأمه، حتى لا يحن عندما يكبر نحو مصر، ولكنها رفضت وكتبته باسم أبيه.

كانت ملامح المولود شرقية، وبشرته خمرية، وعيناه زرقاوان، وشعره شديد السواد، فامتزج فيه سحر الشرق، بجمال الغرب، وشب الصغير بين أقرانه في الحضانة، والمدرسة معروفًا باسم " المصري" كنايةً، و"الفرعون" تدليلاً، ونمت لديه موهبة الرسم، فكان يرسم الأشكال كما يراها، فرسم الكثير من صور أبيه، وأمه، وذاعت شهرته بين المتخصصين كفنان قادم، وقد اهتمت أمه بتعليمه اللغة العربية، وكانت تتعلمها معه، ومع "هند".

ومنذ أن بلغ "إبراهيم" الثامنة من عمره تطورت مداركه، فسبق سنه بعدة أعوام، أخذ يُلح على أمه لزيارة مصر، فقد كان المدرسون يشرحون له عظمة الحضارة المصرية القديمة، حتى راح يقلب بنفسه بين صفحات الكتب عن مجد أجداده، وكانت أمه تساعده علي ذلك بشرح معالم الآثار، ومجد مصر القديم، فكان يتلقى المعلومات ليغرسها بوجدانه، كان يشعر بشديد الفخر بتاريخ وطنه الذي لم يره، فيقص ما يعرفه في المساء على أقرانه من التلاميذ في الصباح، فيرى في عيونهم بعضًا من الحسد على هذا الإرث التَليد.

كانت أمه قد أخبرته برحيل أبيه عنها إلى مصر، وعندما يسألها عن عنوانه تخبره بأنها لا تعرفه، ولم يتركه معها عندما رحل، بيد أن "إبراهيم" ظل يلح عليها بضرورة معرفة العنوان من القنصلية الإيطالية بمصر، كانت تتألم من شدة شوق صغيرها نحو أبيه، فهي تعرف العنوان من صورة أوراقه، ومازال جواز سفره بحوزتها، ولكنها لا تريد أن تكدر علاقة "غريب" بحبيبته "رجاء"، فهي تعلم مدى غيرة النسوة بالشرق على الرجال، كانت مقسومة بين فكرة

الوفاء بالعهد، وبين مشاعر الحرمان التي تضرب صغيرها، ولا تدري ماذا تفعل.

كانت تقص على ولدها شهامة أبيه ليقتدي بها، وتحكي له ذكرى الأيام الجميلة التي عاشتها معه، ولتمجيده كانت تحكي له قصة السفينة التي غرقت على مقربة من السواحل الإيطالية، وكيف قام "غريب" بإنقاذ "هند"، فولّدت تلك الحكاوي في قلب الصغيرةن عشقًا لشهامة الرجال بالشرق، وفخرًا في قلب "إبراهيم" بسيرة أبيه الذي لم يره، كانت الأم ترى في عين ولدها لهفة نحو بلده، فأشفقت عليه عندما وجدت وهج الشوق في صدره يزداد يوماً بعد يوم، ولن يطفئه سوى زيارة مصر، فوعدته بزيارتها في رأس السنة الميلادية الجديدة.

تمنت "ماري" في قرارة نفسها أن تقابل "غريب" مرة أخرى، ولو لبضع دقائق، فقد عشقت فيه نبل المشاعر، وقوة التحدي، وعفة النفس، فلم يستغلها، أو يغترف من مالها الكثير أو القليل، مع أنها كانت على استعداد أن تهبه ما يشاء من مال ليبقى معها، ولكنه كان من نوع خاص، واليوم تعيش على القليل من الذكريات، وتسبح في الخيال، تتذكر همساته، ولمساته، ونبضاته، فعندما تعشق المرأة تكتنز التفاصيل الرقيقة مخبوءة في أعماقها كأنها الدر، ولذا كان هذا الشوق دافعًا آخر نحو السفر.

في هذه الأثناء كان غريب يسعى للاقتراض لبناء مصنع حديث لصناعة الجبن بضمان المزرعة، وقد قدم المستندات والدراسات حول جدوى المشروع من الناحية الاقتصادية، وطلب من البنك مليون جنيه، وتحدد موعد للجان الفنية التابعة للبنك لعمل المعاينة، وهو أسبوع من الآن.

طار الخبر يملأ أرجاء القرية، فهرول العاطلون يحررون طلبات للعمل بالمصنع، الذي سيستوعب خمسين عاملاً، فساد جو من التفاؤل، وارتفعت أسهم الفتى، واشتد الغيظ في قلب فاتن" فالأنثى الشريرة عندما تغضب يأكل الحقد قلبها الأسود، فلا تفكر سوى في الانتقام، ورغم أن المقصود بالغدر لم يخطيء في حقها، فسوف تطاله نيران طائشة بلا ذنب، فجريمته النكراء في نظر الفاجرة كانت الوفاء للحب الطاهر.

راحت "فاتن" تعد العدة، وتنسج المؤامرة للنيل من "غريب" كي تروضه بالقهر، فهي التي بعثت لصًا منذ أسبوع لسرقة مكتبه بالمزرعة ظنًا منها بأن به ثروة طائلة، وعندما وجدت أن المبلغ هزيلا، قررت توجيه ضربة قاسمة للفتى، حتى تذله بها، لتروضه فيما بعد، فقررت الاستعانة برأس الشر الذي يتسول على عتبة بابها شيئًا من الرضا، فاستدعت "سرحان الأعسر" بالهاتف على عجل، فجاء على الفور كما الرهوان يلبي أوامرها، وعندما حضر نظرت إليه بغيظ وهي جالسة على مقعدها تضع رجلًا فوق أخرى، فارتبك هذا الوحش الكاسر من نظراتها الغاضبة، وقبل أن يجلس سألها :

- سرحان: ما الخبر؟

- فاتن: هناك شخص أريد تأديبه.

- سرحان: سوف أمحوه من على وجه الأرض.

- فاتن:(بحدة) لم أطلب منك القتل أريد فقط قرصة أُذن.

- سرحان: من هو ذلك الوغد؟، وماذا تطلبين مني بالتحديد؟.

- فاتن:إنه "غريب" صاحب المزرعة التي بجوار منزلي، أريد منك أن تدس السم لكل المواشي بالمزرعة، أريده أن يفلس، وينهار مشروعه.

وبعدها أشارت إليه بالجلوس، فجلس متعجبًا من هذا الطلب، لم يكن يرى سببًا معقولاً لذلك، ولكنه وافق، فرغم سطوته لم تكن لديه القدرة على مناقشتها أو رد طلبها، فقط أقنعها أن الأمر يحتاج إلى حسن التدبير، حتى يتم إنجازه بسلام، وطلب منها أن تمهله أسبوعًا قبل التنفيذ، وعلى فوره بدأ يخطط للجريمة بأن رصد عدد العمال بالمزرعة، والحراسة، وأنسب الأوقات للتنفيذ، ونوع السم الزعاف الذي سيستخدمه.